

في أفق السياسة الدولية

السلام المسلح

بقلم باحث دبلوماسي كبير

السلام المسلح هو بلا ريب شعار السياسة الدولية هذا العام فالدول العظمى تتسابق كلها في ميدان التسليح بحماسة لم يسمع بها في التاريخ ، ومع ذلك فالدول تؤكد نياتها السلبية ، وتدعى جميعاً أنها تقوى أهباتها الدفاعية دفعاً للاعتداء وتقريراً للسلام ؛ وقد كانت انكفرت إلى ما قبل أشهر قلائل أقل الدول العظمى تأثراً بهذه الحمى في سبيل التسليح ، ولكنها اليوم تنزل إلى نفس الميدان ببرنامج للتسليح يفوق بضخامته كل ما عرف حتى اليوم ، وترصد لهذا البرنامج اعتياداً يبلغ ألفاً وخمسمائة مليون من الجنيهات ، وهو إسراف لم يسبق أن عرفته الأمبراطورية البريطانية في تاريخها الحافل رغم اهتمامها دائماً بشئون التسليح والدفاع ، وفي نفس الوقت الذي تتقدم فيه السياسة البريطانية بهذا البرنامج العسكري الهائل تتقدم إلى العالم بنفس التأكيدات السلبية التي لم تنقطع عن ترديدتها طيلة الأعوام الأخيرة ، وتعلن أنها لا تسليح إلا دفاعاً عن نفسها وحفظاً لكيانها ومصالحها ، وتأيداً للسلام العالمي الذي كانت قوة بريطانيا العظمى دائماً عاملاً كبيراً في تعزيزه وتأيده

والسياسة البريطانية لا تنحى أنها كانت مسرفة في حسن الظن بالعهود والمواثيق الدولية ، وفي الاعتماد على مبادئ السلم وحسن التفاهم بين الأمم ، وإنما كانت مقصرة في مجارة الأمم الأخرى في التسليح بالدرجة التي يقتضيها مركزها الدولي ، ومصالحها الأمبراطورية العظيمة ، فهي الآن تجري على نفس سياسة السلم المسلح التي جرت عليها الدول الأخرى ، بعد أن أيقنت أن التخلف في هذا المضمار يعتبر خطراً على هيبتها الدولية وعلى سلامتها وسلامة أمبراطوريتها المترامية الأطراف ، وبعد أن لمست عن قرب هذا الخطر جائئاً يترصد بها ويحاول أن يجد فرصة في نقص أهباتها الدفاعية ، وهي تعود اليوم فترى أن الوسيلة العملية الوحيدة لاسترداد مكانتها الدولية ، وتأيد كلمتها وإرادتها

وحفظ سلامتها وطمأننتها ، هي أن تضاعف أهباتها في التسليح حتى تستطيع أن تسحق أية قوة في العالم تفكر في مناوأتها والاعتداء عليها

وليس من العسير أن نستشف بواحد هذا التطور الحاسم في السياسة البريطانية الحالية وتحولها إلى خطة السلام المسلح ، بعد أن كانت تعتمد على المواثيق الدولية والسلامة المشتركة والجهود السياسية ، في حوادث العام الماضي تفسير شاف لهذه البواعث ، وأولها وأهمها بالطبع هي المسألة الحبشية التي فتحت عيون السياسة البريطانية إلى حقائق لم تحسن تقديرها ، فقد دبرت إيطاليا اعتداءها على الحبشة عامدة متعمدة ، وغزتها واستولت عليها بوسائل عنيفة وحشية هي أدنى إلى القرصنة منها إلى الحرب الحقيقية ، ولم تعبأ بالمعاهدات المعقودة والمواثيق المقطوعة ولا بكون الحبشة من أعضاء عصبة الأمم ؛ وحاولت السياسة البريطانية أن تحشد دول العصبة ضد إيطاليا في جبهة أدبية اقتصادية تقاومها بالاستنكار والمقاطعة ، فلم تحفل إيطاليا بهذا السلاح السلبى وسخرت منه كما سخرت من السياسة البريطانية ومحاولتها ، وانهت الأمر باستيلائها على الحبشة ، ووطدت بذلك سلطانها الاستعماري في شرق أفريقية بجوار السودان ومنابع النيل وكينيا وشرق أفريقية البريطانية . ولم يكن موقف السياسة البريطانية يومئذ دفاعاً عن الحبشة ذاتها ، وإنما كان وسيلة للدفاع عن مصالح الأمبراطورية ، لأن قيام العسكرية الفاشستية في الحبشة على هذه الصورة المتحفزة يهدد سلامة الأملاك البريطانية ويهدد المواصلات الأمبراطورية في البحر الأحمر ، وتوطد سلطة إيطاليا الاستعمارية يهدد سياسة بريطانيا البحرية في البحر الأبيض المتوسط ، ولم تستطع بريطانيا العظمى يومئذ أن تلجأ إلى سلاح العنف لمقاومة المشروع الإيطالي . ولم تحاول أن تغلق قناة السويس في وجه القوات الإيطالية لأنها أدركت يومئذ أنها ليست مستعدة للطوارئ تمام الاستعداد ، وأن من الخطر أن تدخل مع العسكرية الفاشستية المتوثبة في معركة لا تؤمن عواقبها لهذا كله اكتفت بمراقبة الحوادث ، وشهدت على كره منها ومضض ظفر الفاشستية بغزو الحبشة وقيام الأمبراطورية الإيطالية الاستعمارية ، وشهدت انهيار سياستها القائمة على تحريك العصبة ؛ ولم يخف على السياسة البريطانية ما أحدثه ذلك الفشل

من صدع لهبتها ونفوذها الدولي ، ولم يخف عليها أنها كانت قصيرة النظر حينما اعتمدت على فكرة السلامة المشتركة ، وتخلفت في مضمار التسليح حتى تفوقت عليها فيه أمم أخرى أصبحت تناوئها الآن وتشاكسها

وفي نفس الوقت الذي نفذت فيه إيطاليا اعتداءها على الحبشة على هذا النحو المثير ، أعلنت ألمانيا نقضها لميثاق لوكارنو الذي يكفل سلامة حدود الرين ، كما أعلنت نقضها لآخر النصوص العسكرية في معاهدة الصلح المتعلقة بتحريم التسليح في منطقة الرين . وانكثرتا من الدول الموقعة على ميثاق لوكارنو ، وفزع أنها لم تتأثر بتصرف ألمانيا قدر ما تأثرت فرنسا فإنها رأت في انهيار هذا الميثاق الذي كان يعد ضماناً قوياً للسلام في غرب أوروبا نذيراً سيقاً بانتهاء فكرة السلام المشتركة وتقويض صرح السلام الأوربي ، ورأت فيه بالخاص ضرباً أليماً لشرعية العهد والمواثيق تنذر بانتهاء سلطان القانون الدولي ، وتبعث إلى الريب في قيمة العهد الدولي ، وتحمل على عدم الاطمئنان إليها ، ما لم تكن من ورائها القوة الكافية لتأييدها وضمان تنفيذها

ثم كانت المشكلة الأسبانية ، وتدخل ألمانيا وإيطاليا فيها إلى جانب الثوار الأسبانيين لإقامة حكومة عسكرية فاشستية في أسبانيا ؛ وقد لمحت انكثرتا منذ البداية شبح الخطر الذي يحتم من وراء هذا التدخل ، وأدركت في الحال أن قيام حكومة فاشستية في أسبانيا تؤيدها إيطاليا وألمانيا ، وكناتهما تضطرم طموحا إلى الفتوح الاستعمارية ، مما يهدد سيادتها في غرب البحر الأبيض المتوسط ، وهي سيادة تحرص عليها بالسهر على مدخل هذا البحر من مضيق جبل طارق ، وهو توجس لم تلبث أن حققتة تطورات الحرب الأسبانية ، وتدفق الجنود الإيطالية والألمانية إلى أسبانيا ، وما قامت به الدولتان من المناورات الاستعمارية المزبجة في جزر البليار ومراكش الأسبانية

إزاء ذلك كله شعرت انكثرتا بحقيقتين بارزتين ، الأولى أن هناك خطراً حقيقياً على سيادتها في البحر الأبيض يتفاقم يوماً بعد يوم ، وأن إيطاليا الفاشستية تبذل جهوداً جارية لتحطيم هذه السيادة ؛ والثانية أن ملام أوروبا لم يعد مكفولاً ، وأن ألمانيا وإيطاليا المدججتين بالسلاح أصبحتا بما لهما من القوة العسكرية تتحكمان في سلام القارة ، وتهددانه في كل لحظة بزعاتهما وإطعامهما

العنيفة ، وأنه أخشى من العبث أن تعتمد السياسة البريطانية على سياسة العهود والمواثيق والسلامة الاجتماعية ، وأنه لا بد من اعتمادها على القوة للدفاع عن سلامتها ومصالحها الامبراطورية الواسعة ؛ ومع أن انكثرتا عقدت في بنابر الماضي مع إيطاليا اتفاقاً باحترام الحالة القائمة في البحر الأبيض ، والاعتراف بالمصالح المتبادلة وهو ما يسمونه باتفاق الجنتلمان ، فإن السياسة البريطانية لم تكن ترى فيه على ما يظهر أكثر من وسيلة لتهدئة الحالة وتسكين الأعصاب المضطربة واكتساب الوقت ؛ بل يلوح لنا أن هذا الاتفاق الذي علقت عليه يوم عقده آمال كبيرة ، ينهار اليوم من أساسه ، لأن إيطاليا رأت في برنامج التسليح البريطاني ، وفي دعوة الحكومة البريطانية للتجاشي إلى حفلات التتويج ، ما يسوغ لها الارتياح في موقف السياسة البريطانية ، والسير في سياستها العسكرية المطلقة دون تردد أو تقيد

وقد كان لهذا التحول في السياسة البريطانية ، والتجاء بريطانيا إلى سياسة التسليح الشامل وقع عميق في ألمانيا وإيطاليا ؛ وما يلاحظ أنه وقع على أثر إثارة ألمانيا لمسألة المستعمرات ومطالبتها بمستعمراتها القديمة بصورة رسمية ، ورد انكثرتا على مطالبها بالرفض المطلق ؛ وقد أكد مستر ايدن وزير الخارجية البريطانية في عرضه لسياسة بريطانيا الخارجية ، أن بريطانيا لا ترمي بالتساح إلى أية غاية اعتدائية ، ولا تفكر مطلقاً في تكبير السلم ، وكل ما ترمي إليه هو الدفاع عن سلامتها وسلامة أملاكها ومصالحها الامبراطورية ، ولم يخف الوزير أن ما شعرت به بريطانيا من خيبة الأمل في قيمة العهود والمواثيق الدولية وقيمة السلامة المشتركة كان من أعظم بواعث هذه السياسة ، ولم يخف أن اخفاق العصبة في المسألة الحبشية كان صدمة أليمة للعصبة ولجميع الدول التي تؤمن بمبادئها ، بيد أن السياسة البريطانية ما زالت تؤمل في مستقبل العصبة ومستقبل مبادئها السلمية الحرة . على أن هذه التصريحات الملطفة لم تخف الحقيقة البارزة في تسليح بريطانيا ، وهي أنه رد عملي على تسليح ألمانيا وإيطاليا ، ورد القوة على القوة ، واعتزام التذرع بالعنف لرد العنف . ولن يتطبع منصف أن يلوم السياسة البريطانية على هذا التحول الذي اضطرت إليه لمثل هذه البواعث الحيوية القاهرة . ولكن برلين ورومة لا تريان هذا الرأي ، أما برلين فلا تؤمن بما تقوله السياسة البريطانية في تبرير

في الأدب المقارن

الحرب

في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ غفرى أبو السعود

حب الحياة والإقبال على متعتها والرغبة في التكثر من خيراتها
مركب في طبائع الأحياء . وليس لحاجات الحي ورغباته ومطامحه
نهاية ، بل تبقى له حاجة ما بقي كما قال الشاعر ؛ والنزاع بين الأحياء
على خيرات الحياة من أجل ذلك متصل لا يفتر ، وهيهات يفتر وحب
الخلاف والنزاع والجلاد ذاته بعض طبائع الأحياء ، والشغف
بالقلب والنخائل بالقوة والزهو بالسيادة من أكبر مطامع الأحياء
والإنسان خاصة ، ومن ثم عرف الإنسان الحرب من أول عصوره
واشتغل منذ هجمته بمكافحة الأحياء من الوحش ومن أبناء جنسه ،
وتم له النصر من قديم على أمة الوحش ، وما تزال معارك الإنسان
مع أخيه - أو عدوه - الإنسان متصلة تشب بين حين وحين

وقد كابد الإنسان في شتى العصور أهوال الحروب . وعلم علم
اليقين عواقبها الوخيمة ؛ بيد أنه لم يستطع بعد أن ينبذها ، لقيامها على
غرائز في طبعه راسخة متأصلة ، ولما تليح به أمام عينيه من مزايا
النصر ومقائمه ومجده ولآلئه ، ومن ثم كانت مهمة دعاة السلم من
أشق المهام ومطلبهم من أبعد المطالب ، وقد هبوا في الفترة بعد الفترة
ينددون بالحرب وبلاياها ومفباتها ، فكانت صيحاتهم تترك صداها
في نفوس الكثيرين ، لا سيما في أعقاب الحروب الطاحنة التي
أهلك الحث والنسل ، ثم لا تلبث غرائز الإنسان الفطرية أن
تعاوده على أشدها ، وتبدأ الأمم سيرتها الأولى من الطمع والتفاني
وتحكم القوة التي لا يفصل سواها بين المطامع المتضاربة

وللحرب آثارها المشهودة في أدب كل أمة بلا استثناء . ولتلك
الآثار ثلاث نواح : للحرب أولا من أهم وسائل اتصال الأمم
واختلاط الأفكار وتلاقح الثقافات ؛ وهي ثانياً وحى الجمل الفقير من
نظم الشعراء ونثر الكتاب الواصفين لوقائعها وسلاحها ورجالها ،
المجدين لأبطالها وانتصاراتهم ، المفاخرين بما كان دجر الأعداء
وحماية الذمار وسلامة الشرف الرفيع من الأذى ؛ والحرب من
جهة ثالثة أروحت بأثار أديّة شتى في تفيض القتال ، وتسقيت إعدام

هذا التسليح . بل ترى فيه تحدياً وتهديداً خفياً لها لتأيد السياسة
التي ترى إلى حرمانها من مستعمراتها ومطامعها الاستعمارية
والاقتصادية المشروعة ، وأما رومة فلا تشك أنه موجه إليها
توجيهاً مباشراً لحرمانها من ثمرات تفوقها العسكري وانتصارها
في الحبشة وتهديد سلامة إمبراطوريتها الاستعمارية التي كسبتها
بسيافها ، ولذلك رأينا المجلس الفاشستي الأعلى يجتمع بسرعة
ويقرر مواصلة التسليح دون هدنة أو توقف ، وإن يترك فكرة
الاتفاق على تحديد التسليح نهائياً ، وسيقترن هذا القرار بإجراء
مناورات بحرية وجوية كبرى في مياه المضيق الواقع بين طرابلس
وصقلية ، وهو المضيق الذي قد تفكر إيطاليا في إغلاقه في حالة
الحرب لتقطع المواصلات البريطانية في البحر الأبيض المتوسط
وهكذا نرى معركة التسليح تضطرم بين الدول الكبرى .
ولا ننس أن فرنسا قد أقرت كذلك برنامجاً هائلاً للتسليح ، وإن
روسيا السوفيتية قد دججت سلاحاً وأضحت أقوى دول القارة .
بيد أنه مما لا ريب فيه أن للتسليح البريطاني آثاراً يغتبط لها أنصار
السلم ، ذلك أن بريطانيا لا تطلب مزيداً في السلطان والملك ،
ولا تفكر في فتوحات أو غزوات استعمارية جديدة ، وإنما تريد
الدفاع عن إمبراطوريتها القائمة ، ومقاصدها الدفاعية ظاهرة
لا ريب فيها ، وفي وسع بريطانيا متى أتمت تسليحها واستكملت
قوتها أن تغدو بمالها من الكلمة النافذة والقوة المهيمنة عاملاً
حاسماً في استتباب السلم العالمي (٥٥٥)

كتابان جديدان

الشخصية

التربية الانكليزية

تأليف الاستاذ محمد عطية الابراشي

أول كتابين ظهرا في اللغة العربية عن المثل الأعلى
للشخصية الانسانية ، والتربية الانكليزية الاستقلالية في
البيت والمدرسة . وهما خلاصة عشرات من الكتب .

وثن الأول ٨ ، والثاني ١٣

بطلان من ملزمة نصرها

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر